الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية:1920- 1954

د.مصطفى أوعامري
جامعة تلمسان

ملخص:

أحاول في هذه الدراسة، تسليط بعض الأضواء على موقف الحزب الشيوعي الجزائري من المسألة الوطنية، وإبراز العوامل المتحكمة في ذلك، وهذا بالتعرض في البداية إلى النشاط الشيوعي بالجزائر مابين 1920—1935، ثم تأسيس الحزب سنة 1936 وتحوله إلى الاتجاه الإصلاحي، مع التناقضات التي عرفها هذا الحزب وتقلبات مواقفه بخصوص المسألة الوطنية...

Résumé :

Dans cette étude j'essaie de mettre en exergue la position du parti communiste Algérien envers la question nationale, et de mettre en évidence les facteurs influant sur ses positions. Ainsi, j'aborde d'abord l'activité communiste en Algérie entre 1920 et 1935, puis la création du parti communiste algérien en 1936 et son passage vers la tendance réformiste avec les contradictions qu'avait connu ce parti et les vicissitudes de ses positions envers la question nationale….

Abstract :

The main objective of this study is to highlight the Algerian Communist Party's position toward the national question, and also, to highlight the factors influencing their positions. Thus, I will first address the communist activity in Algeria between 1920 and 1935, and the creation of the Algerian Communist Party in 1936. Then, its transition to the reformist trend, with contradictions which had known this party, and the vicissitudes of his positions towards the national question, will be discussed.

إن الحزب الشيوعي الفرنسي كان من بين أكثر التيارات السياسية بالمتروبول احتكاكا بالقوى الوطنية الجزائرية. ومنذ سنة 1924 أسس فيدرالية

تابعة له بالجزائر ليحولها إلى حزب: " الحزب الشيوعي الجزائري" سنة 1936 ، وهو التنظيم الذي دخل كطرف في التحالفات الوطنية من خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، وفي الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951 ، فضلا عن محاولات الاتصال العديدة مع قادة التيارات الوطنية، ودعايته في الأوساط الجماهيرية.

معظم الباحثين والمؤرخين الذين درسوا الحركة الوطنية الجزائرية، تعرضوا إلى نشاط هذا الحزب ضمن تيارات هذه الحركة، بالرغم من تركيبته البشرية وإيديولوجيته المرتبطة بالشيوعية العالمية، غير أنهم اختلفوا في تقييم دوره بخصوص المسألة الوطنية ومحاربة الاستعمار. أحاول في هذه الدراسة، تسليط بعض الأضواء على موقف هذا الحزب من المسألة الوطنية وإبراز العوامل المتحكمة في ذلك، وهذا بالتعرض في البداية إلى النشاط الشيوعي بالجزائر مابين 1920–1935، ثم تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1936 وتحوله إلى الاتجاه الإصلاحي، مع التناقضات التي عرفها هذا الحزب وتقلبات مواقفه بخصوص المسألة الوطنية.

أ. النشاط الشيوعي بالجزائر: 1920–1935:

بدأ التيار الشيوعي نشاطه بالجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، مع تأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي في مؤتمر تور – Tours – سنة 1920 كفرع فرنسي للأممية الشيوعية العالمية ، وهي الأممية التي ركزت في استراتيجيها المعادية للاستعمار منذ سنة 1919 على الشرط الثامن للانضمام إلى صفوفها، ومن بين ما جاء فيه: " أي حزب ينتمي إلى الأممية الثالثة يجب عليه... مساندة كل حركة تحررية في المستعمرات والمطالبة بإبعاد أمبرياليي المتروبول من المستعمرات..."1. أما الشرط السادس عشر، فقد نص على ضرورة مراعاة الأممية الشيوعية لظروف الكفاح المتباينة في مختلف البلدان ، ولا تتخذ

قرارات عامة وضرورية إلا في الحالة التي يمكن تطبيقها".2والظاهر أن انخراط الشيوعيين الجزائريين في الأممية الثالثة كان على هذا الأساس، فالبت في"المسألة الأهلية"، يرجع إلى الفيدراليات المحلية التي كان مناضلوها يعتبرون الجزائر قطعة أرض فرنسية. وقد حاول ممثلهم في مؤتمر " تور"، ش.أ. جوليان، توضيح ذلك بالتأكيد على أن مفوضيه لا يوافقون على أطروحة الكومنترن (الأممية الثالثة) بكاملها فيما يتعلق بالمسألة الاستعمارية ، ويطالبون بحق التصرف حسب الظروف المحلية ، والمختلفة عن التجربة الآسيوية التي استخدمت كقاعدة لأطروحة الأممية الشيوعية.3

ومن وجهة نظرهم ، فان تحرير المستعمرات مرهون بنجاح ثورة البروليتاريا في المتروبول. وشعار التحرير بالنسبة لهم، ليس معناه استعادة الشعوب" لهويتها وشخصيتها وحضارتها،بل يعني شكلا جديدا من أشكال الهيمنة الاستعمارية، تتقمص فيه هذه الشعوب حالة التلمذة الدائمة"،4عن الرجل الأبيض المنتمي إلى أوربا مركز العالم، وصاحبة الرسالة الحضارية التمدينية على النمط الغربي.

من هذا المنطلق رفض فرع سيدي بلعباس ، ومؤتمر الاتحاديات المنعقد بالجزائر العاصمة بيان " "تحرير الجزائر وتونس" الصادر عن الجهاز التنفيذي للأممية الشيوعية في 20 ماي 1922 ، باستعمال ألفاظ تعبر عن الإيديولوجية العنصرية الاستعمارية بل أشد منها،5 والحل يكمن في أن تحرير بروليتاريا أهالي أفريقيا الشمالية ، لا يكون إلا ثمرة للثورة بالمتروبول.

لقد تسبب هذا الموقف في توجيه انتقادات للحزب الشيوعي الفرنسي، في المؤتمر الرابع للكومنترن المنعقد في موسكو سنة 1922 من قبل مندوب الفرع الشيوعي التونسي الطاهر بوضنقة ، متهما فرع سيدي بلعباس بالانحراف عن مبادئ الكومنترن ، وخاصة في المؤتمر الخامس المنعقد بموسكو سنة 1924 ، حيث واجه

الحزب الشيوعي الفرنسي انتقادات حادة من قبل مانويلسكي Manuilsky ممثل الاتحاد السوفياتي، الذي ذكر قضية فرع سيدي بلعباس كمثال عن بقايا الاشتراكيين – الإمبرياليين في الأحزاب الغربية. 6

فالشيوعية في الجزائر "لم تكن كما هو الحال في أوربا تعبيرا عن الحركة العمالية. فهي في الأصل نتيجة لتطور الجناح الراديكالي داخل الفيدرالية الجزائرية للحزب الاشتراكي الفرنسي"7، وأعضاؤها كانوا مناضلين في صفوف هذا الحزب ، وكذلك في صفوف الكنفدرلية العامة للشغل قبل الحرب، وكانوا يعتبرون كغيرهم من المستوطنين بأن الجزائر قطعة أرض فرنسية ، فلا يمكن بين عشية وضحاها تغيير موقفهم بخصوص المسألة الاستعمارية، والتفريط في امتيازاتهم الواسعة، الأمر الذي جعلهم يدخلون في نزاع مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، والأممية الشيوعية بخصوص هذه المسألة.

انطلاقا من انتقادات الكومنترن، التي تعرض لها الحزب الشيوعي الفرنسي في المؤتمر الخامس لهذه المنظمة، واتهامه بالتقصير في مساعدة الشعوب المستعمرة، وبناء على توجيهاتها ، شرع الحزب في تطبيق سياسة الأممية الشيوعية ؛ فانشأ لهذا الغرض" اتحاد المستعمرات بفروعه المختلفة، ومنها فرع أفريقيا الشمالية، وقد سارع الاتحاد... إلى تأسيس منظمة تابعة باسم نجم شمال أفريقيا".8 وبدأ في تجنيد المهاجرين الجزائريين بالمتروبول9ومنهم حاج علي عبد القادر؛ الرئيس الأول للنجم، قبل أن ينتزع منه القيادة مصالي الحاج . كما أنه أنشأ فيدرالية الجزائر للحزب الشيوعي سنة 1924 ، بغرض بلشفة الحزب، والتحكم أكثر في تطبيق السياسة الشيوعية.

ومن هنا ربط اتصالات مع الأمير خالد، وقام بتنظيم تجمعات على شرفه أثناء زيارته لفرنسا في جويلية 1924.كما أن حرب الريف التي خاضها عبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى ضد إسبانيا، ومعها فرنسا فيما بعد، استغلها الحزب في شن حملة معادية للاستعمار، شكلت قطيعة مع الإرث الإصلاحي للأممية الثانية في المسألة الاستعمارية.10 وخلال هذه الحملة رفعت شعارات

مناهضة للاستعمار، بل مطالبة حتى باستقلال الجزائر : " إن الهدف النهائي الذي نكافح من أجله هو استقلال الجزائر."11

أدت هذه السياسة المندرجة في إطار استراتيجية الشيوعية العالمية، إلى رد عنيف من قبل السلطة الاستعمارية بالجزائر، إذ صرح وزير الداخلية "سارو" Srraut بقسنطينة: "الشيوعية هذا هو العدو".12كما شن الحاكم العام فيوليت Violletteومن بعده "بورديس" Bordes الذي خلفه نهاية 1927حملة قمع ضد الشيوعيين، وتعرضت جريدتهم الكفاح الاجتماعي للاحتجاز مرات عديدة13. كما ناصبهم الكولون والتشكيلات الأوربية بالجزائر العداء؛ فاليمين اتهمهم بالدعوة إلى ثورة الأهالي، ومصادرة أراضي الكولون، وطرد الأوربيين من الجزائر ومن شمال أفريقيا . وبالنسبة لليسار، فالاشتراكيون اعتبروا أن نشاط الشيوعيين سيؤدي إلى إلقاء الفرنسيين في البحر من طرف العرب.14

في الواقع، إن معاداة هؤلاء الأوربيين وخاصة اليمين، للإيديولوجية الشيوعية المناقضة للإيديولوجية الرأسمالية كانت مبكرة، بدأت منذ تسرب أفكارها إلى الجزائر؛ ومن الاتهامات التي وجهوها إلى الأمير خالد على سبيل المثال، أن نشاطاته كانت تحركها موسكو. إن بلشفة الحزب، ونشر دعاية معادية للاستعمار ، مع سياسة القمع التي تعرض لها الشيوعيون، أثر ذلك كله على نشاط الشيوعيين بالجزائر ، بتقلص قاعدتهم النضالية التي كانت أوربية بصفة عامة؛ 15 . واعتبرت هذه الفترة مرحلة جمود شبه تام. وحتى الحملة المعادية للاستعمار التي قام بها الشيوعون بمناسبة الاحتفال المائوي الاستفزازي باحتلال الجزائر انتهت بفشل ذريع، واستمر النشاط خاصة عبر النقابة " 16.الكنفدرالية العامة للعمل الموحد" التابعة للحزب، والتي نظمت عدة إضرابات خلال هذه الفترة. 17 مستغلة بيئة التذمر الخصبة التي أفرزتها الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 كذريعة للتحرك في أوساط الشغيلة.

غير أن نشاط الشيوعيين بخصوص المسألة الوطنية كان أكثر نجاحا في فرنسا، رغم التناقضات التي وقعوا فيها. ويرجع إليهم الفضل في المساهمة في

تأسيس نجم شمال أفريقيا، بغض النظر عن الخلفيات السياسية للتأسيس، والمندرجة في إطار خدمة استراتيجية الشيوعية العالمية؛ ذلك أن منظمة الكومنترن والحزب الشيوعي الفرنسي ، أرادا أن يجعلا من النجم منظمة جماهيرية كبرى تحت مراقبة الشيوعيين الجزائريين، والتكتيك الذي شرع في تطبيقه بعد اجتماع الهيأة التنفيذية للأممية الثالثة سنة 1926، وانعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي في السنة نفسها ، هو الاستناد بقوة إلى مطلب الاستقلال الوطني لصالح الشعب الجزائري وشعوب بلدان المغرب العربي . أكيد أن هذا التكتيك كان بغرض جلب العمال المهاجرين، والسكان الأهالي إلى كفاح البروليتاريا الفرنسية ضد الرأسمالية الفرنسية،18 واتخاذهم كقوة إسناد لخدمة الأهداف الشيوعية. فلما أصبح اتجاه النجم وطنيا ، وبعد التعبير عن إيديولوجيته الاستقلالية والثورية في مؤتمر بروكسيل 1927،تحرك الشيوعيون بسرعة، وقضت توصيات المؤتمر السادس للكومنترن في سنة 1928، أن يعمل الشيوعيون الفرنسيون على عدم تطور النجم في شكل حزب19 مع الحرص على إبقائه تحت وصايتهم، يدور في فلكهم وخاضعا لمراقبتهم المستمرة .

فالاختلاف في الرؤى والاستراتيجيات بخصوص المسألة الاستعمارية، أدى إلى فتور في العلاقات بين التيارين منذ سنة 1928 لينتهي بالقطيعة سنة 193320 .فاستراتيجية النجميين جعلت الاستقلال مطلبها الأساسي، معتمدة على الطاقات الكامنة في الشعب الجزائري للتحرر من نير الاستعمار. واستراتيجية الشيوعيين المبنية على أن مبدأ تحرير المستعمرات يكون ثمرة لنجاح ثورة البروليتاريا في المتروبول بالاعتماد على الصراع الطبقي، تبين بشكل واضح أن نظرة الشيوعيين إلى المسألة الاستعمارية ، لم تكن مستمدة من الواقع الجزائري؛ بل كانت خاضعة إلى إملاءات وتكتيكات الكومنترن، المتغيرة حسب تغير المقتضيات والوضعيات الدولية، ويظهر ذلك بشكل جلي في ظروف تأسيس

الحزب الشيوعي الجزائري، وفي التحول الذي طرأ على موقف الشيوعيين من المسألة الاستعمارية.

ب- تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري 936: الاستراتيجية والتكتيك .

إن الصراع بين اليمين واليسار في فرنسا، مع ظهور التهديدات الفاشية، جعلت الحزب الشيوعي الفرنسي يتقارب مع أحزاب اليسار، ويشارك في التجمع الشعبي الذي كان نواة لتأسيس الجبهة الشعبية ووصولها إلى السلطة سنة 193. 21 في ظل هذه الأجواء السياسية الجديدة ، وفي إطار تأسيس جبهة شعبية مماثلة بالجزائر،أرسل الحزب الشيوعي الفرنسي أحد عناصره النشطة " شنترون" (ألياس بارتيل) Chaintron (alias Barthel) لإعادة تنظيم الفيدرالية الجزائرية، في إطار الإستراتيجية الجديدة للكومنترن التي أصبحت تركز على محاربة الفاشية، والتخلي عن الصراع الطبقي لصالح جبهة معادية للفاشية ، مما يوحي بأن العمل المعادي للاستعمار سيترك جانبا.22

إن الجوانب التي راعاها شنترون في إعادة تنظيم الفيدرالية الجزائرية، هي توسيع قاعدتها النضالية لدى الأوروبيين، وتشجيع انخراط المسلمين، والعمل على تغيير نظرتهم اتجاه الحزب الشيوعي الذي كانوا يعتبرونه حزبا أوروبيا، وفي خدمة الأوربيين، خاصة وأن الرأي العام الجزائري المسلم تفاءل خيرا بوصول الجبهة الشعبية إلى السلطة.

تكتيكيا، مارس بارتيل دعاية مزدوجة، تركز على معاداة الفاشية في الأوساط الأوربية، ومعاداة الاستعمار في أوساط المسلمين ، وهو الحل التوفيقي الذي استهدف من خلاله جلب الطرفين وفرض الشيوعيين في الساحة الوطنية الجزائرية . بهذه السياسة المندرجة في إطار سياسة الكومنترن:" جبهة معادية للفاشية"، نجح بارتيل في جعل الحزب الشيوعي حزبا جماهيريا لدى الأوربيين، وشريكا مهما في الجبهة الشعبية بالجزائر23 كما أنه أخرجه من عزلته على الساحة السياسية

المسلمة ، وبلغ ذروة نجاحه أثناء مشاركته في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول في جوان 1936، والذي ضم مختلف التنظيمات الإسلامية عدا النجم. إذ كان للشيوعيين وزن معتبر في هذا المؤتمر، ليس على مستوى القيادة، ولكن أيضا على المستوى اللجان المحلية24 في ظل هذه النجاحات، تأسس الحزب الشيوعي الجزائري رسميا في أكتوبر 1936، بمبادرة من الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي صادق في مؤتمره الثامن المنعقد في شهر يناير "بفيلوربان"Villeurbanne، على تحويل الفدرالية الجزائرية،إلى حزب شيوعي جزائري تابع مباشرة إلى الأممية الشيوعية25.

تهدف هذه التسمية–" الحزب الشيوعي الجزائري"– إلى إضفاء مسحة وطنية على الحزب، تعززت بترقية جزائريين إلى مناصب المسؤولية؛ مثل أوزقان، وبن علي بوقرط، وغيرهما، ليكونوا وسطاء بين الجزائريين المسلمين وإيصال الدعاية الشيوعية لأبناء وطنهم بمخاطبتهم باللغة التي يفهمونها، مع الاهتمام تكتيكيا بالتاريخ الوطني الجزائري، واعتبار الشيوعيين الجزائريين كما ورد في بيان المؤتمر التأسيسي للحزب، أنفسهم جديرين بمواصلة كفاح الأبطال الوطنيين الجزائريين :الأمير عبد القادر، المقراني ، الأمير خالد26. والجزائريون الذين انظموا إلى هذا الحزب" ليُكونوا كوادر... فكانوا في غالبيتهم موظفين ومدرسين وطلبة متأثرين بالعقلية والثقافة الغربية وكانت لهم نفس التربية التي للإندماجيين27.

بخصوص المسألة الوطنية ، وبعد أن فقد الحزب الشيوعي الفرنسي أية مراقبة على نجم شمال أفريقيا الذي كان يعتبره على ما يبدو ابنا متمردا عليه، مال إلى التيارات الإصلاحية بالجزائر وتقارب مع قادتها: ابن جلول ، فرحات عباس، الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهو التقارب الذي تم مع "البورجوازية " الوطنية، ووافق على مشروع بلوم فيوليت Blum - violette الذي كان ينتقده سابقا، متخليا بذلك عن شعارات الاستقلال، وعن البرلمان الجزائري الذي اعتبره غير قابل للتطبيق. والحل أصبح يكمن في سياسة الاندماج، والعمل من أجل جزائر حرة وسعيدة متحدة أخويا مع الشعب الفرنسي..28

على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي، دخل الحزب الشيوعي الجزائري في صراع مع النجم، الذي كان يرى فيه غريما عنيدا في استقطاب البروليتاريا الجزائرية المسلمة بالقطر الجزائري، بعد أن افتكها من الشيوعيين في فرنسا، خاصة بعد خطبة مصالي الحاج المؤثرة بالجزائر في2 أوت 1936 وبداية توطين النجم بأرض الوطن. انتهت التجاذبات بحل النجم من طرف الجبهه الشعبية التي كان الشيوعيون طرفا فيها. ولم يكتف الشيوعيون بذلك ، بل صنفوا حزب الشعب الجزائري مع الحزب الفاشي لـ" دوريو" Doriot " الحزب الشعبي الفرنسي.29 فاختلاف التكتيك والاستراتيجيات بين الحزبين عزز القطيعة بينها؛ الأول مال إلى سياسة الإصلاحات في إطار الجمهورية الفرنسية، والسيادة الفرنسية، مسجلا تحوله الكبير بتخليه عن المذهب الثوري الشيوعي، وعن مبادئ لينين في استقلال المستعمرات، يستمد توجيهاته من باريس و موسكو، ومرجعيته الفكرية والإيديولوجية غربية. والثاني يعتمد على الشعب الجزائري ، ويعمل على استقلال الجزائر في إطار بعدها الحضاري العربي الإسلامي.

للتغلب على المشاكل التي أصبح يعاني منها الشيوعيون بالجزائر، بعد تفكك الجبهة الشعبية وفشل المؤتمر الإسلامي وتفككه هو الآخر، مع الدعاية القوية لحزب الشعب الجزائري، والتي كانت تجد صداها لدى العلماء الذين بدأوا يتقاربون معه. قدم الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي "موريس طوريز" Maurice Thorez،أفكارا جديدة حول المسألة الاستعمارية في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في ديسمبر 1937، والظاهر أنها مستوحاة من نموذج جمهوريات الاتحاد السوفياتي الإسلامية، التي كانت مرتبطة بهذا البلد: " الحق في الطلاق لا يعني ضرورة الطلاق ....ومصلحة شعوب المستعمرات تكون في الاتحاد مع الشعب الفرنسي.."،30 لينتهي بصياغة نظريته المشهورة حول حل المسألة الاستعمارية بالجزائر والتي قدمها في خطاب له بالعاصمة في فبراير 1939: "الجزائر أمة في طور التكوين"، وهي

خليط من عشرين جنس، يمكن تسهيل تطورها ومساعدتها بمجهود الجمهورية الفرنسية..."31.

والخطاب عموما ذو نزعة استعمارية واضحة، ينفي وجود الأمة الجزائرية ، كما ينفي أصالة الشعب الجزائري وتاريخه، ويبرر الاحتلال الفرنسي للجزائر باعتبارها ظلت معبرا لشعوب مختلفة، منزاحا بذلك إلى مؤرخي المدرسة الاستعمارية. لقد شكلت هذه النظرية أساس السياسية الشيوعية بخصوص الجزائر، وبخصوص الحركة الوطنية الجزائرية حتى سنة 1956.32. فالحزب الشيوعي الجزائري ظل مرتبطا بالحزب الشيوعي الفرنسي، وهذا الأخير كان مرتبطا بمنظمة الأحزاب الشيوعية "الكومنترن" وخليفتها "الكومنفورم"، التي كان يشرف عليهما الاتحاد السوفياتي. وتقلباته وتناقضات مواقفه كانت انعكاسا للخط السياسي المحدد من الأخ الكبير " الحزب الشيوعي الفرنسي" ومن قبل الشيوعية العالمية.

ج. تناقضات الحزب والإخفاق في مقاربة المسألة الوطنية:

عارض الشيوعيون بالجزائر دخول فرنسا الحرب العالمية الثانية التي اعتبروها حربا أمبريالية على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي، وانعكاسا لسياسة الاتحاد السوفياتي الذي وقع على معاهدة عدم الاعتداء مع ألمانيا{ XE "ألمانيا" } في 23 أوت 1939 مما أدى إلى حله وتعرض قادته ومناضليه إلى الاعتقالات.33 وأصبحت الدعاية الشيوعية تركز على مناهضة حكومة فيشي{ XE"فيشي" }، واستقلال الجزائر{ XE "الجزائر" }، وتخليص الشعب الجزائري من العبودية.34

لم تلبث هذه السياسة أن تغيرت بدخول الاتحاد السوفياتي الحرب مرغما في صيف 1941 إلى جانب الحلفاء دفاعا عن أراضيه المجتاحة من قبل القوات

النازية ، فكلمة الاستقلال اختفت من الدعاية الشيوعية بالجزائر، التي أصبحت تركز خاصة على محاربة النازية، و"الاتحاد الحر للشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي "35 منذ صيف 1943، أصبح الحزب الشيوعي الجزائري والتنظيمات التابعة له تعمل في إطار الشرعية، وانصب الاهتمام على حث الجزائريين على التجنيد، وتحسين ظروف المعيشة لديهم، ويستخلص ذلك من قراءة مقالات جريدة " الحرية " Liberté، التي بدأت في الصدور منذ جويلية 1943 مثل المقال حول " المطالب الشرعية للعرب والقبائل "36

وبخصوص الخط السياسي للحزب، عاد إدماجيا يعمل " من أجل جزائر حرة موحدة مع فرنسا حرة "." كما لخصته إحدى تعليماته الداخلية37نافيا بذلك فكرة الاستقلال التي كان يعمل من أجلها التيار الوطني بمختلف اتجاهاته أثناء هذه الفترة، من خلال بيان الشعب الجزائري وملحقه، وخاصة حركة أحباب البيان والحرية التي رفض الانضمام إليها، مشكلا تنظيما موازيا لها " أحباب الديمقراطية"، معتبرا أمرية 7مارس المؤكدة لسياسة الإدماج، "خطوة كبرى إلى الأمام.38 كما أصبح يهاجم بشدة عناصر التيار الوطني، ملصقا بهم نعوتا مختلفة ، معتبرا سياستهم انفصالية تلتقي بسياسة الكولون{ XE "الكولون" } أو "المائة سيد39وغيرها من الانتقادات الأخرى التي لم يغفرها له الوطنيون.

جاءت مجازر ماي 1945 الدامية بالجزائر كمنفذ خلاص للتيار الشيوعي، إذ وجد فيها عناصره مسلكا للخروج من العزلة الإرادية التي تقوقعوا فيها، ومبررا لسياستهم العدائية تجاه الأحزاب الوطنية؛ وهي الأحزاب التي حملوها مسؤولية تلك الأحداث، و نعتوها بشتى الأوصاف. غير أن الواقع السياسي الجديد لدى الجماهير الجزائرية المتشبعة بالدعاية الوطنية، فرض عليه تغيير التكتيك بغرض التقرب منها، بل و بالتقرب من الأحزاب الوطنية والدعوة إلى اتحادها في جبهة واحدة.

شرع الحزب في تنظيم حملة لصالح العفو، عن طريق اللجان العديدة التي أنشأها لهذا الغرض منذ صيف 1945،40منددا بسياسة القمع، محاولا التقرب من الوطنيين ، وخاصة من عناصر حزب الشعب الجزائري التي كانت أكثر عرضة للقمع وللضغوط الاستعمارية والعمل على جلبهم إلى صفه، معتبرا نفسه وصيا على الشعب الجزائري في ظل فراغ الحقل السياسي الوطني. وبذل مجهودات معتبرة لإطلاق سراح المسلمين المعتقلين السياسيين، ولم يبخل في تقديم مساعدات مالية للمعتقلين و لعائلاتهم في إطار لجان المبادرة بالعفو ، فضلا عن التشجيعات المعنوية، و دفع مستحقات الدفاع.41 ودعا في مؤتمره الثالث المنعقد في أواخر مارس 1946 إلى تكوين "اتحاد ديمقراطي جزائري كبير ... لقطع الطريق على الرجعية و الفاشية التي تبحث عن التفرقة بين الأوربيين والمسلمين، لتحطيم الشخصية الجزائرية رهان المستقبل"42

كانت الانتخابات العامة لجوان 1946، المحك الذي أبان الوزن الحقيقي للشيوعيين على الساحة الوطنية الجزائرية.وصدمة النتائج جعلت قادة الحزب يعيدون النظر في إستراتيجيتهم تجاه الجزائريين ، بمسارعة اللجنة المركزية لعقد مؤتمر استثنائي بإيعاز من الحزب الشيوعي الفرنسي والذي مثله" أندري مارتي" André Marty شخصيا نظرا لأهمية الحدث، و بعد الانتقادات الذاتية و التقييمية للإستراتجية السابقة تم التوصل إلى أن"الحركة الوطنية تعم كل الجزائر" 43

وفقا لهذا المبدأ، تم وضع خط سياسي جديد يعتمد على التحالف مع الأحزاب الوطنية ، وتوجيه نداء من أجل تأسيس "جبهة وطنية ديمقراطية جزائرية" تضم "حزب الشعب الجزائري، الشيوعيين، مناصري الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، العلماء، الاشت راكيين و كل الجزائريين التقدميين دون تمييز عرقي، لغوي أو ديني". و العمل معا من أجل بناء جزائر جديدة بالقيام ببعض الإصلاحات الفورية؛ تؤدي إلى إقامة" جمهورية ديمقراطية جزائرية لها دستورها، برلمانها و حكومتها" و ترتبط بروابط فيدرالية مع شعب فرنسا و الشعوب الأخرى في إطار الاتحاد الفرنسي.44

عبر بشكل جلي عن موقفه من القضية الجزائرية في مشروعه الإصلاحي المتعلق بمستقبل علاقة"الجزائر المستعمرة بالمتروبول" والمقدم إلى البرلمان الفرنسي من طرف نوابه جماد، السيدة سبورتيس Sportisse، السيد مختاري و فاييت Fayet في 13 مارس 1947، بغرض المناقشة في إطار إعداد القانون الأساسي للجزائر، والذي يعتبر فيه الجزائر قطرا مشاركا في دائرة الاتحاد الفرنسي، يتمتع باستقلال إداري و مالي و قائم على المساواة في الحقوق و الواجبات بين جميع السكان. تكون فيه السلطة التشريعية بيد جمعية جزائرية منتخبة عن طريق الاقتراع العام المباشر والسري بنسبة تمثيل متساوية بين الجزائريين المسلمين والأوربيين.أما السلطة التنفيذية فتتشكل من حكومة جزائرية، مسؤولة أمام الجمعية .45وإذا كان هذا المشروع الإصلاحي للحزب الشيوعي الجزائري يتقارب في كثير من نقاطه مع مشروع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، فانه يختلف معه في المسألة الوطنية،إذ أنه لا يعترف بالدولة الجزائرية ولا بالاستقلال السياسي للجزائر .

استغل الحزب الشيوعي الجزائري، و المنظمات التابعة له مختلف المناسبات للترويج لمشروعه و الدعاية لحزبه في الأوساط الجزائرية المسلمة، و محاولة إظهار نفسه كطرف أساسي مدافع عن القضية الجزائرية، و عن الجزائريين المسلمين، إلى جانب القوى السياسية الجزائرية الوطنية، و يلاحظ ذلك بشكل جلي في أدبيات الحزب و في تدخلات مناضليه في الاجتماعات الشعبية، أو الرسمية و غيرها من أنشطة الحزب الأخرى .46

في الواقع، إن الحزب الشيوعي الجزائري كان يعيش في عزلة بسبب رفضه الاستقلال كحل للمشكل الجزائري، وتمسكه بنظرية طوريز "الجزائر أمة في طورا لتكوين"، وخيانة مذهبه؛ المذهب الماركسي– اللينيني الذي يتحدث علانية عن استقلال الشعوب المستعمرة، فضلا عن تركيبته البشرية وإيديولوجيته العقائدية و تبعيته للخارج . كما أن اعتراف الاتحاد السوفياتي بإسرائيل أثر عليه كثيرا؛ لانجذاب المجتمع الجزائري المسلم إلى القضية الفلسطينية في إطار التضامن العربي الإسلامي والشعور القومي المشترك. وكذلك صراعات الحرب الباردة وتأييده للإتحاد السوفياتي التي اتخذها كمبرر لرفض استقلال البلدان المستعمرة تخوفا من سقوطها تحت الأمبريالية الأمريكية في إطار الشعار المتداول لدى الشيوعيين آنذاك:"لاتبدل حصانك الأعور بحصان أعمى.47و مع

ذلك فقد وجد الشيوعيون في سياسة القمع التي مارستها الإدارة الاستعمارية، و على رأسها الحاكم العام نايجلان Naegelen تجاه الأحزاب الوطنية، منفذا لمحاولة التقرب من قادة هذه الأحزاب والتسرب في الأوساط الإسلامية، رافعين دائما شعار الاتحاد مع تغيير التكتيك السياسي.

منذ بداية 1950 أصبح الشيوعيون يستعملون تكتيكيا في أدبياتهم تعبير "الجمهورية الجزائرية الديمقراطية،" بدل تعبير "الدولة المشاركة" 48. خاصة وأن حرب الفيتنام أفرغت سياسة الاتحاد الفرنسي من محتواها. وفي نفس الوقت عملوا على إحداث تغييرات من حيث التركيبة البشرية، بغرض تغيير صورة الحزب الأوربي العالقة بأذهان الجزائريين، أصبح الاهتمام مركزا على تعريب الحزب، و تطعيمه بعناصر شبانية مسلمة، من خلال اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية، التي أصبحت عنصرا أساسيا في انخراطات المسلمين الذين تزايد عددهم، بسبب استقالات الأوربيين منذ 1946 – 1947 وبشكل متعاظم منذ مطلع الخمسينات.49

وبالموازاة مع إسناد المسؤوليات في الحزب للمسلمين على المستوى المركزي والقاعدي، عاد شعار مطلب الاستقلال إلى الواجهة، وأصبحت الدعاية الشيوعية في الأوساط المسلمة تبتعد عن النظريات الستالينية، "فالشيوعيون حينما يتوجهون في خطاباتهم للمسلمين، يتخلون عن الصفة العالمية لإيديولوجيتهم، مع محاولة التركيز على المسألة الجزائرية بما يتطابق مع طموحات الوطنيين المسلمين؛ ومن الأمثلة على ذلك تصريح الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري بول كاباليرو Paul Kaballero في تجمع بمدينة سيدي بلعباس:... نريد الاستقلال الكامل للجزائر، سياسيا اقتصاديا مع حكومتها وبرلمانها،وتكوين أمة جزائرية من مجموع سكان هذا البلد.50

في ظل هذه الظروف الشديدة القمع بالنسبة للوطنيين الجزائريين مع اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950، و تزوير انتخابات المجلس الجزائري

المنظمة سنة 1951، تمكن الحزب الشيوعي من تحقيق ما كان يدعو إليه منذ جويلية 1946 ،بانضمامه إلى الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951 ، 51 إلى جانب أطراف أحباب البيان والحرية سابقا. وبانفراده بالمشاركة في الانتخابات العمالية التي جرت في 7 و 14 أكتوبر 1951 والتي قاطعتها التيارات الوطنية،سيبتعد عن هذه الجبهة المحدودة الأهداف، والتي لم تعمر طويلا بتفككها بعد مرور حوالي سنة على تأسيسها، غير أنه استمر في دعوة الأحزاب الوطنية إلى الاتحاد ،حتى اندلاع ثورة غرة نوفمبر 1954 52 والتي حاول المشاركة فيها من خلال" المكافحون من أجل التحرير" الذين انضموا إلى جيش التحرير الوطني على إثر الاتفاق الموقع بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني في 1جويلية 1956 53 بدون أن يحل الحز ب نفسه.

الخاتمة

لم يتمكن الحزب الشيوعي الجزائري من فرض نفسه في الحركة الوطنية الجزائرية لتبعيته للخارج، فضلا عن إيديولوجيته الفكرية والعقائدية، وتركيبته البشرية التي ظلت تضفي عليه دوما صفة الحزب الأوربي ، وبقائه أسيرا لنظرية موريس طوريز" الجزائر أمة في طور التكوين".مقاربته الخاطئة للمسألة الوطنية همشته، وبذلك ظل هذا الحزب لدى الجزائريين حزبا أجنبيا، يمكن التعاون معه خاصة في الأوقات الصعبة.

رغم إخفاق الشيوعيين في مقاربة المسألة الوطنية ، فإنهم قدموا مساندة للحركة الوطنية بفرنسا بمساهمتهم في تأسيس نجم شمال إفريقيا الذي استفاد مناضلوه من طرق التنظيم الشيوعي المعتمد على المركزية الديمقراطية، وأساليب

النضال العصرية في مواجهة الاستعمار.كما طرحت الأممية الثالثة تكتيكيا فكرة استقلال الجزائر منذ وقت مبكر، وهي الفكرة التي تم التخلي عنها خاصة مع مجيئ الجبهة الشعبية، وتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري،الذي أصبح اتجاهه إصلاحيا، مركزا على الدفاع عن المصالح الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين ، أين حقق نجاحه على مستوى التنظيم النقابي.كما أنه شارك في المؤتمر الإسلامي الجزائري، وفي الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها إلى جانب القوى الوطنية ،ولعل هذه المساهمات هي التي جعلت كثيرا من الباحثين يدرسونه ضمن الحركة الوطنية الجزائرية.

الهوامش:

1- Jurquet, stratégie et tactique communistes vis-à-vis du mouvement national algérien : 1920-1962 ; in acte du colloque : L'étoile Nord Africaine et le mouvement national algérien de Paris,ed, anep,2000.p 41.

2- Emmanuel, Sivant, communisme et nationalisme en Algérie : 1920-1962, presses de la fondation nationale des Sciences politiques, Paris, 1976, p 17.

3- Ibid , p 18.

4– أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى الى الثورة المسلحة،ت الحاج مسعود، محمد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال 2002، ص 66.

5- نفسه ص60 ومن بين ما جاء فيها:"...إن أهالي شمال افريقيا يتكونون في معظمهم من عرب غير قابلين للتطور الاقتصادي،والاجتماعي والفكري والأخلاقي، الضروري للأفراد لتكوين دولة مستقلة قادرة على بلوغ الكمال الشيوعي".

6-Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme algérien, question nationale algérienne, 1919-1951,T.I,2éd ENAL,Algér,1992,pp.142-143.

7-بوالقسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، ش.و.ن.ت، الجزائر1983.ص 342-343، Emmanuel, Sivan,op.cit, p29

8–محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوني، سلسلة صادموفم للنشر، 1944، ص 111

9– أحمد مهساس، المرجع السابق ص 60.

10- قدر عدد المهاجرين الجزائريين نحو فرنسا سنة 1923 بحوالي 58586 مهاجر ليرتفع العدد إلى 71628 في سنة 1924

11 -mahfoud kaddache, mohammed guenaneche,L'étoile nord africaine 1926-1936,Documents et témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien, O.P.U.Alger.1984,p.33.

12- Ibid,p 54

13- Ibid,p 63

14– تناقص عددها من 280 منخرط سنة 1929، إلى 200 سنة 1931، ثم 130 سنة 1932و 150 سنة1934، Ibid,p.

15- Ibid,pp 56-57.

16- Abderrahim, Taleb Bendiab , chronologie des faits et mouvements sociaux et politiques en , pp : 43- 46. 1983 Algérie *:* 1830 – 1954,: imprimerie du centre, Alger .

17- . J.Jurquet op.cit, p.46.

18-Salah Mathlouti , Le messalisme- itinéraire politique et idéologique, 1926-1939, thèse de doctorat, 3ème cycle, p. 123

19- J.Jurquet,,op.cit, p.47.

20– تأسست الجبهة الشعبية رسميا تحت اسم التجمع الشعبي في مظاهرات 14 جويلية 1935 من طرف الأحزاب اليسارية، وعدد كبير من المنظمات والجمعيات المختلفة، لمناهضة الفاشية والدفاع عن الحريات الديمقراطية. ومن أهم التنظيمات التي شكلتها : الحزب الاشتراكي، الحزب الشيوعي الفرنسي، الاتحاد الاشتراكي الجمهوري، الحزب الراديكالي، الكنفدرالية العامة للشغل، الكنفدرالية العامة للشغل الموحدة، الحركة المناهضة للحرب والفاشية والمسماة أمستردام بليل (Amsterdam Pleyel)رابطة حقوق الإنسان، لجنة المثقفين المناهضة للفاشية، حركة قدماء المحاربين...فازت في الانتخابات التشريعية التي جرت في أبريل وماي 1936، وشكلت أول حكومة لها في جوان من نفس السنة، وانتهت هذه الجبهة في سنة 1938 :مصطفى أوعامري، المقاومة السياسية بالقطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية : 1939– 1945، دار القدس العربي ، وهران، 2013 . ص . 20

- Le franc Georges, ***histoire du*** 21:لمزيد من التفاصيل ينظر
front populaire : ***1934*** – P ***1938*** , Paris : 1965

22– Emmanuel, Sivan,op.cit, pp .82–85.

23 – .Ibid,p. 85. انتقل أعضاء الفيدرالية الجزائرية من 600عضو سنة 1935 إلى 3500 في صيف 1936. وبالنسبة للمنخرطين المسلمين انتقل العدد من 60 عضو إلى أكثر من 700 عضو في نفس الفترة. – Claude Collot

Jean.Robert 24–Henry, le mouvement national Algérien,textes :1912-1954.2ème édition, O. P. U, Alger.1981. p.85

25-.Ibid,p 87.

26- . Claude Collot - Jean.Robert Henry, op.cit.p.85

27- 24-.Ibid,p 87.

محمد حربي ، المرجع السابق ، ص .111

28- Claude Collot-Jean Robert.H, pp.90-91 ;Ch Robert Ageron,histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871au déclenchement de la guerre de libération (1954) t II ,Paris :P.U.F, 1979, p.384.

29- J.Jurquet,,op.cit, p.48.

30- Emmanuel, Sivan,op.cit, p .97

31- Ibid,pp 110 -111

32- J.Jurquet,op.cit,p.48.

33- Emmanuel, Sivan,op.cit, P117.

34– مصطفى أوعامري ،المرجع السابق، ص.105

35- Ch.-R. Ageron, op. cit. , PP. 557- 558.

36- Liberté, 11 décembre 1943,in,Mahfoud Kaddache, op. Cit. T.II , P. 659 .

37- A.W.O. , C. I.E. Oran , avril, 1943.

38- Emmanuel Sivan, op. Cit. , P. 131.

39- Abderrahim Taleb Bendiab, op. Cit. , PP. 65 – 66 ;Ch. R. Ageron, op. Cit. , P. 568.

40- . Mahfoud kaddache, o p c i t , p.728

41- A.W.O, S.I.D.M,Février. fevrier,1946.

42- A.W.O, S.I.D.M,Février. mars,1946.

43- Abderrahim Taleb Bendiab, op. Cit. P.72, Charles_Robert ageron , op.cit, 598 .

44- Claude Collot – J .Robert Henry, op.cit, pp. 228-231.

45. :لمزيد من الاطلاع حول مشروع الحزب الشيوعي ينظر – Claude Collot – Jean.Robert Henry, PP.236– 247.

46 – في اجتماع عام عقد بنادي الأمير خالد بوهران نظمه الحزب صرح أحد المتدخلين بأن الشعوب تطالب بالحرية ، لماذا لا نطلبها مادامت مناقشة المشاريع حول الجزائر ستفتح قريبا في البرلمان. S.L.N.A. Oran,fevrier– mars 1954 .

47 – محمد حربي ، المرجع السابق،ص. 114.

48- Emmanuel sivan,op.cit,p179

49- Ibid,p 164 ,169.

50- S.L.N.A. Oran, juin 195O.

51 - لمزيد من الاطلاع حول الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ينظر:

Claude collot, le front Algérien pour la défense et le respect de la liberté,(Août 1951- Avril 1953) R.A.S.J.E.P.VolumeXIV.N° : 2 Juin 1977.pp.356 – 431.

52 - Abderrahim Taleb Bendiab, op. Cit. , P73.

53- لمزيد من التفاصيل ، راجع: Hafid khatib,1er juillet 1956 : L'Accord FLN- PCA et l'intégration des combattants de la libération dans L'armée Nationale en ALGERIE ,O.P.U .Alger,1991



جهود الإمام سيدي عبد الرحمن التنلاني المالكي
في خدمة التفسير
مختصر الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون للسَّمين نموذجا

الباحث عبد الغاني عيساوي /د.منصور كافي
جامعة الحاج لخضر باتنة

مقدمة:

كان لمساهمات علماء المغاربة عموما، وبلاد الجزائر خصوصا في بنيان تاريخ الحضارة العربية الإسلامية دور كبير فعال، اتسم بالعطاء والفاعلية والتنوع، وذلك من خلال مساهماتهم في جميع العلوم والفنون التي أقامت صرح الحضارة وبنيانها في بلاد المشرق من الشام حتى بلاد مصر والحجاز، والتي حلَّت فيها البصمة العلمية الفكرية المغاربية والجزائرية بالخصوص.

ومن بين تلك العلوم والفنون التي قام عليها علماء الجزائر إما تدريسا أو تأليفا أو جمعا بين الاثنين، تفسير القرآن الكريم وعلومه، هذا الفن الذي تربطهم به وشائج قوية ممتدة عبر التاريخ، إذ تذكر المصادر أن لعبد الرحمن بن رستم تفسيرا للقرآن الكريم، وأنه بهذا الاعتبار أول من صنَّف في علم التفسير بالقطر الجزائري1 في تلك المرحلة المبكرة جدا، بعد تأسيسه للدولة الرستمية المستقلة سنة: 160هـ.

وكثير من المصادر والمراجع التي تكلَّمت عن ظهور التفسير ببلاد المغرب والقيروان، تجعل من «تفسير يحي بن سلام»(ت:200هـ) أول تفسير ظهر في تلك الحقبة المبكرة، متناسية بذلك «تفسير ابن رستم»، ولعل للشأن السياسي والتحذير السُّني والأموي2 من الخلافة الرستمية والمذهب الإباضي وأنه مذهب